كلمة وزارة الإعلام

ألقاها الدكتور توفيق أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

طفولتي في يدي أذرو براءتها

على الطريق فعمري مورق خضل

وتوقظ الخيمة الزرقاء أغنيتي

فاللحن بيني وبين الدهر متصل

"سليمان العيسى"

أيها الحضور الكريم

لو أردنا أن نختار عنواناً لرحلة شاعرنا الكبير سليمان العيسى مع الحياة التي امتدت زمنًا، وتوغَّلت عمقًا، واتّسعت أفقًا، وعظُمت كفاحًا، وتوهجت أملاً، وشَمَخَت إباءً وكبرياءً، وأضاءت قيمًا و أدبًا، وتفردت إبداعًا، وتميزت علمًا وتواضعًا، وامتلأت فخرًا وعزَّة.

لو أردنا أن نختار عنوانًا لهذه الرحلة العامرة بكل ألوان التجربة الإنسانية الفذة، وميادينها الفسيحة ..لما وجدنا خيرًا من ذلك العنوان الذي اختاره شاعرنا الراحل بنفسه، لكتاب أصدره في مطلع حياته الأدبية، وجمع فيه أجمل ما قرأه في الشعر العربي، وأسماه:

«حُبٌّ وبطولة» ... وكم كان لهذا العنوان من تأثير رائع، في نفوس الأجيال التي تتابعت على اقتناء ذلك الكتاب وقراءته..!! وكم كان شاعرنا سليمان العيسى بسيطًا، وصادقًا، وواضحًا في اختيار هاتين الكلمتين، اللتين تجسدان جوهر موقفه من الحياة، ومنطلق تفكيره في الإنسان: فردًا وجماعة، وغاية ما يسعى إلى تحقيقه، بكل ما يمتلك من قدرة على البذل والعطاء، وأثمن ما يتطلع إليه من القيم السامية التي يتمنى أن يراها حيثما تلفتت عيناه، في جوانب الحياة العربية والمجتمع العربي.. الذي طالما حلم به حُرًّا، موحدًا، عزيزًا، كريمًا، يتمتع بالمكانة اللائقة التي يستحقها تحت الشمس.. !!فبالحب والبطولة ينهض الإنسان من وهدة الذل والمسكنة.. وبالحب والبطولة يقوم العدل، ويعم السلام .. وبالحب والبطولة يرتوي البشر من قِيَم التآخي، وتتوالد الأحلام الملونة بعالم يتجدد على الدوام.. وبالحب والبطولة تستطيع الأمة العربية أن تستعيد ماضيها المجيد، وأن تبني – على أسسه المضيئة – معالم حياتها في الحاضر والمستقبل المنشود.

هذا هو إذن شاعرنا الكبير الراحل سليمان العيسى، وقد كثّف لنا حياته الرائعة في «أكسير» يتألف من كلمتين: «الحب».. وما أدراك ما الحب..!؟؟ و«البطولة». وما أدراك ما البطولة..!؟؟

فلقد كان الحب رفيقه الأثير، وهو يتعلم حروف اللغة العربية، على يدي والده الشيخ، تحت شجرة القرية العريقة.. وكانت البطولة بكل ما تشمله من معاني النبل، والشهامة، والإيثار والخلق الرفيع، وكراهة الظلم، وعشق الحرية، والعطاء والنماء.. كانت هذه البطولة وردة أحلامه.. ومدار أشواقه منذ الكلمة الأولى.. إلى الكلمة الأخيرة..!! ومن عناق هاتين الكلمتين الساحرتين: الحب والبطولة، ولدت رحلة حياته التي لن تملّ الأجيال من ارتيادها، والتأمل في مجاليها الخصبة.. فقد كان راحلنا الكبير سليمان العيسى من كبار رجال التربية في وطنه الأم سورية، ووطنه العربي الكبير.. وتشهد السنوات الطوال

التي قضاها مدرسًا في مختلف مراحل التعليم، وفي عدد من البلدان العربية، على علوّ مقامه في هذا الميدان.. وكان من أبرز الشعراء العرب في العصر الحديث، ومن أعلاهم صوتًا في التغني بأشواق الأمة العربية إلى الوحدة والحياة الحرة الكريمة، ومن أشدّهم تأثيرًا في مسيرة الكفاح العربي للاستعمار والمستعمرين والمؤامرات التي تحيكها قوى البغي والعدوان في غابة الذئاب العالمية التي يسمونها النظام العالمي قديمه وجديده.

وكان من كبار زارعي الأمل في حياتنا.. ومن أصدق الصادقين في التفاته إلى عالم الطفولة، لإغناء قلوب الأطفال بمشاعر الحب، ونوازع البطولة، لإيمانه بأنّ هذه المرحلة المبكرة هي الحقل الأمثل لنمو غراس الأمل بنشوء الإنسان العربي الجديد.. كما كان – في كل مراحل هذه الرحلة الثرة – مثالاً للإنسان الحقيقي وعيًا، وإيمانًا، وإخلاصًا، وسلوكًا، وتطلعًا، ونقاء سريرة، ومحبة صافية.. ولقد كانت لراحلنا الشاعر العبقري سليمان العيسى – في خضم حياته المميزة – وَقَفَات لا تنسى مع الإعلام الوطني خاصة، والإعلام النظيف في الوطن العربي عامة.. فما أكثر إطلالاته صوتاً وصورة، وكتابة، في مختلف الوسائل الإعلامية. شاعرًا يحدو مسيرة الإنسان العربي إلى الأمام بقصائده الملتهبة، في كل مناسبة وطنية أو قومية.. ومثقفًا متحدثًا بآرائه الصائبة، في الندوات والحوارات الإذاعية والتلفزية، وفي الصفحات الثقافية.. ولم يكن ليتلكأ عن أي دعوة للمشاركة في إغناء العمل الإعلامي، والتواصل مع الجماهير التي تُكِنُّ له – بمختلف أجيالها – كل محبة وتقدير وإجلال.. بل كان سبّاقًا إلى المشاركة في كل نشاط إعلامي يهدف إلى نشر الحقيقة، وإعلاء شأن القيم المثلى، والذَّوْد عن حقوق الوطن العربي والأمة العربية، بشعره ونثره وأحاديثه المؤثرة.. ولا عجب في هذا.. فقد كان يتمثل بالدور الإعلامي الذي كان يقوم به الشاعر العربي القديم منذ أن كان شاعر القبيلة المتبنّي لقيمها، المدافع عن وجودها وحقوقها بقلبه ولسانه الذي يبدع أروع مقالٍ لكل مقام.

وبعد:

رحم الله شاعرنا الكبير سليمان العيسى؛ الذي ملأ دنيانا عطرًا،وأملاً ومحبة وبطولة ونضالاً مقدسًا من أجل الكرامة والحرية؛ تشع جميعها من عشرات المؤلفات الشعرية والنثرية التي أضافها إلى المكتبة العربية.

واسمحوا لي في ختام هذه الكلمة..أن أتقدم باسم وزير الإعلام، وباسم العاملين في حقول الإعلام جميعاً، بأحرِّ التعازي القلبية.. إليكم أيها الجمهور الكريم، وإلى محبي راحلنا الكبير الغالي، وعارفي فضله العميم، وإلى آل الفقيد الكرام.. وكلنا رجاء بأن يتغمد الله تعالى فقيدنا وفقيد الأدب العربي والأمة العربية بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يلهمنا جميعًا الصبر والسلوان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.